آيات الرغبة في القرآن الكريم

Desire verses in the Holy Quran

د. كاظم عطية حمادي

Dr. Kazem Attia Hammadi

الجامعة العراقية كلية العلوم الإسلامية قسم التفسير

University of Iraq, College of Islamic Sciences,

Department of Interpretation

dr.kadhim.atiya@aliraqia.edu.iq

ملخص البحث

هذا البحث تحت عنوان «آيات الرغبة في القرآن الكريم-دراسة موضوعية» يتحدث عن: التعريف بالرغبة القرآنية وأنواعها، كذلك يسلط الضوء على مشكلة متعلقة بضبط الرغبات التي تخرج عن المسار الصحيح، وفي مقدمتها الاختيار الصحيح للدين الحق، وفي الوقت نفسه نصر من يدعو الى ذلك الدين وعدم التخلف عنه في أحوج الظروف،

تكمن أهمية البحث في موقف الإسلام من بعض العادات السيئة التي كانت منتشرة قبل الاسلام، والمتمثلة في ازدواجية المعاير، والتشهي في الزواج من اليتامى على اساس الجمال والمال، كذلك تكمن أهمية البحث الدعوة الى اظهار الرغبة بالقناعة والرضى بما قسمه الله تعالى، بالإضافة الى ما تقدم تكمن أهمية البحث بوجود الرغبة الصادقة في العبادة والدعاء تجعلهما وسيلة مهمة في قبول الدعوات وتحقيق الامنيات.

الكلمات المفتاحية:
(الآيات – الرغبة – القرآن الكريم- التفسير- المفردات).

Abstract of the research:

This research, entitled "Verses of Desire in the Holy Quran - An Objective Study", talks about: defining Quranic desire and its types, and also sheds light on a problem related to controlling desires that go off the right path, foremost of which is the correct choice of the true religion, and at the same time supporting those who call for that religion and not falling behind it in the most needy circumstances.

The importance of the research lies in the position of Islam on some bad customs that were widespread before Islam, represented by the duality of standards, and the desire to marry orphans on the basis of beauty and money. The importance of the research also lies in the call to show desire with contentment and satisfaction with what God Almighty has divided. In addition to the above, the importance of the research lies in the existence of a sincere desire for worship and supplication, which makes them an important means of accepting supplications and fulfilling wishes.

Keywords:

(Verses - Desire - Holy Quran - Interpretation - Vocabulary).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي صيّر رغباتنا طوعا لأمره، فجعل الرغبة اليه عنوانا لعفوه، فمن أظهر الرغبة للدين الحق فقد نجا، ومن نصر النبي بنفسه فقد اهتدى، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والمصباح في الظلمات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

إنّ من أمعن النظر في مفردات القرآن الكريم، يجدها قد استفاضت تنوعا، فمنها الفاظ تحمل معاني الشدة والتهديد، والفاظ تحمل معاني التلطف والتحبيب، ويستعمل كل نوع من الالفاظ مع مجموعة من الناس بنوع من الخطاب، فتميز القرآن بأسلوبه الفريد في استخدام بعض الكلمات واضدادها، فإذا حذر من الظلم والجور ارشدهم الى العدل والقِسط، وإذا ذكر النار وأهوالها ذكر الجنة ونعيمها، ومن هنا بدأت انطلاقتي بعد أن وجدت بحثا عن الرهبة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، فأردت أن أكتب عما يضادها من المعاني فوقعت عيني على لفظ الرغبة والتي هي من أضدادها، فهذا النوع من الدراسة يعطي معاني لموضوعات متجددة لم تكن معروفة من قبل، لذلك وسمتُ بحثي تحت عنوان:» آيات الرغبة في القرآن الكريم- دراسة موضوعية» متناولاً هذه اللفظة وما اعطته من موضوعات ومعان حسب وردها في آيات القرآن الكريم، لذا اقتضت خطة البحث أن تكون مقسمة على مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع: أما المقدمة فتناولت خلالها سبب اختيار الموضوع وخطة البحث، ومشكلته وأهميته.

أما المبحث الأول: تناولت التعريف بالرغبة لغة واصطلاحا، ومساحتها وصيغها والألفاظ المقاربة منها.

واما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه الرغبات القرآنية وأنواعها، مقسمة على خمسة مطالب تدور حول الرغبة بنكاح اليتامى، والرغبة من اختيار الدين أو نصرة النبي الامين، والرغبة بما قسمه الله من الأرزاق، وصولا الى الرغبة وسيلة الإجابة.

أما الخاتمة تناولت أهم النتائج التي توصلتُ اليه. وقائمة بالمصادر والمراجع.

مشكلة البحث:

يدور البحث حول مشكلة متعلقة بضبط الرغبات التي تخرج عن المسار الصحيح، وفي

مقدمتها الاختيار الصحيح للدين الحق، وفي الوقت نفسه نصر من يدعو الى ذلك الدين وعدم التخلف عنه في أحوج الظروف.

أهمية البحث:

١. تكمن أهمية البحث في موقف الإسلام من بعض العادات السيئة التي كانت منتشرة قبل البعثة النبوية الشريفة، والمتمثلة في ازدواجية المعاير، والتشهي في الزواج من اليتامى على أساس الجمال والمال.

٢. كذلك تكمن أهمية البحث الدعوة الى اظهار الرغبة بالقناعة والرضى بما قسمه الله تعالى من الارزاق وعدم التذمر من قلة ما يناله العبد من أُعطيات الصدقات، أو الغنائم.

٣. بالإضافة الى ما تقدم، تكمن أهمية البحث بوجود الرغبة الصادقة في العبادة والدعاء تجعلهما وسيلة مهمة في قبول الدعوات وتحقيق الامنيات.

وفي الختام فإني لا ادعي لعملي الكمال، فالكمال لله وحده، وإنما هذا جهد بشري يعتريه السهو والنقصان والخطأ، فإن كان صواباً فبتوفيق من الله تعالى، وهو المعين على ذلك، وإذا وجد الخطأ فمن تفريطي وقصوري لمعرفة الصواب في ذلك، والله أسأل أن يجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المبحث الأول
تعريف الرغبة باللغة والاصطلاح وصيغها والالفاظ المقاربة لها

المطلب الأول تعريف الرغبة باللغة والاصطلاح:

الرغبة في اللغة:

الرغبة: الراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلب لشيء والآخر سعة في شيء، والرغبة في الشيء، بمعنى الإرادة له، فإذا لم ترده قلت رغبت عنه(١).

قال الجوهري: «رغبت في الشيء، إذا أردتَه، رغبةً ورَغَباً بالتحريك. وارْتَغَبْتُ فيه مثله، ورغبت عن الشيء، إذا لم تُرِدْهُ وزَهِدت فيه. وأرغبني في الشيء ورغبني فيه، بمعنىً».(٢)

أما ابن سيدة فيرى معنى الرغبة: قد جاء من الرغب، والرغبة، والرغبوت، والرغبى، والرغباء: بمعنى الضراعة والمسألة، والرغيبة: الأمر المرغوب فيه، ورغب عن الشيء: تركه متعمدا، ورغب بنفسه عنه: أي رأى لنفسه عليه فضلا(٣)، ورغب يرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه، والرغبة السؤال والطلب(٤).

فالرغبة في اللغة تعني البحث عن شيء مرغوب، والسعة فيه، لاسيما إذا عدت بحرف «في»، فتعطي معنى المحبةً له، أو تملكه، لكنها تعطي معنى مغاير للمعنى الأول إذا عدت بحرف «عن» فتعطي معنى الترك إما للزهد به وعدم الحاجة اليه، أو الكره والبغض؛ لأنّه يرى لنفسه فضلاً عليه، وقد تخرج الرغبة الى معنى مجازي وهو التضرع، والخضوع والسؤال.

الرغبة في الاصطلاح:

أما تعريف الرغبة في الاصطلاح، فقد عرفت بعدة تعريفات، وهي تدور بين الوصف، أو الشرح، وهي كما يأتي:

---

(١) ينظر مقاييس اللغة: لابن فارس،٢/٤١٥.

(٢) الصحاح: للجوهري،١/١٣٧.

(٣) ينظر المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده الاندلسي، ٥/٥١٦، ولسان العرب: لابن منظور،١/٤٢٢.
ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الاثير،٢/٢٣٧.

الرغبة: هي علة باعثة على طلب شيء ما، أو السؤال عنه، وهي المشتملة على المحبة المفضية للعبادة، والتي هي من لوازمها(١).

ويمكن تعريف الرغبة: بميلُ النفس إلى شيء ما لاعتقاد نفعه، فمن حصل له رغبةٌ في شيءٍ، حملته تلك الرغبة على طلب ذلك الشيء من كل وجه يَظُنُّه موصلاً إليه(٢).

كذلك يمكن تعريف الرغبة: بالتوسع في الإرادة، فإذا قيل: رغب فيه، أو إليه اقتضى الحرص عليه، وإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه(٣)، وقيل: أن الرغبة عن الشيء هو: الزهد فيه وإيثار النفس عليه، والرغبة في الشيء: إرادته على وجه الطمع، والرغبة إلى الشيء هو: الطمع فيه، فكأن الرغبة في الوجوه كلها هي صرف الهمة(٤).

فالرغبة إذن هي حالة شعورية دافعة تتجسد في تغير نمط الانسان بين الاقبال على ذلك الشيء للحصول عليه، والانتفاع منه، وجعله هدفاً للوصول اليه كما في مرضاة الله تعالى في العبادة، أو تعني النفرة منه وزهد فيه لعدم فائدته، أو كراهيته كما في كراهية القتال، والأشياء المكروهة للنفس.

المطلب الثاني: مساحة آيات الرغبة في القران الكريم وصيغها ودلالتها

إنّ الكم العددي لفظ الرغبة في القرآن الكريم، له دلالة الخاصة بما يفيض علينا بسيل كبير من المعاني، والتي تعطينا تصوراً واضحاً لما يدور في خلجات تلك الأنفس، فالرغبة تعني محبة لشيء ما، أو كارهةٌ له، كما مرّ سابقاً، وما بين المحبة وضدها معاني كثيرة لا يمكن حصرها، وهذا هو الاعجاز بحد ذاته، وإذا رجعنا الى عدد الفاظ الرغبة في القران الكريم، وجدناها قد وصلت الى ثمانية الفاظ، في ثمانية سور، قد تكررت بين العهدين المكي، والمدني، فالسور المكية التي ذكر فيها لفظ الرغبة، هي: سورة الأنبياء، ومريم، والقلم، والشرح، أما السور المدنية فهي: سورة البقرة، والنساء، والتوبة، وقد جاءت بعدة صيغ، وعلى النحو الآتي:

فقد أخذ لفظ الرغبة الصيغ الفعلية بأشكال متنوعة ما بين الفعل الامر والفعل المضارع المسند للمفرد والجماعة، ومن ذلك فقد جاءت بصيغة الفعل المضارع المرفوع المسند الى المفرد

(١) ينظر الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: لجيلان بن خضر العروسي، ٣١/١.
(٢) ينظر جامع العلوم والحكم: لابن رجب الحنبلي، ٣٥١.
(٣) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف: للمناوي القاهري، ص١٧٩.
(٤) ينظر دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر: لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، ٢٩٦/١.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١).

واخذ لفظ الرغبة صيغة الفعل المضارع المسند الى الأفعال الخمسة كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾(٢).

كذلك اخذ لفظ الرغبة صيغة الفعل المضارع المنصوب عطفاً على الفعل «يتخلفوا» المنصوب بأن، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٣).

كذلك جاءت الرغبة بصيغة الفعل الامر كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾(٤).

ولم تقتصر آيات الرغبة على الصيغ الفعلية فحسب، بل جاءت بالصيغ الاسمية المشتقة من الفعل «رغب» ايضاً، ومنه ما كان على وزن اسم الفاعل المسند للمفرد كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾(٥)، واسم الفاعل المسند للجماعة كما في قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾(٦)، وقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾(٧)

وأخيرا جاءت الرغبة بالصيغة المصدرية الاسمية كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(٨).

---

(١) سورة البقرة الاية: ١٣٠.
(٢) سورة النساء الاية: ١٢٧.
(٣) سورة التوبة الاية: ١٢٠.
(٤) سورة الشرح الاية: ٨.
(٥) سورة مريم الآية: ٤٦.
(٦) سورة التوبة الاية: ٥٩.
سورة القلم الاية: ٣٢.
(٨) سورة الأنبياء الاية: ٩٠.

والملاحظ للصيغ المتنوعة التي جاءت بها آيات الرغبة، وهي تجمع بين الفعل، والاسم على عدة اشكال، فمنها التعبير بالفعل المضارع ، الذي له دلالته الخاصة، فالفعل (يرغب)، هو استمرار تجددي مناسب لمقام الابتعاد عن دين إبراهيم «عليه السلام» أو الفعل (ولا يرغبوا) عدم رغبة المنافقين وكراهيتهم لنصرة النبي «صلى الله عليه وسلم»[١]، فترى فيه تصوير وإحضار لصورة عدم الرغبة الواقعة كما وقعت، ومن جهة أخرى فصيغة المضارع في هذا المقام تفيد التغير وعدم الثبوت، وتنبئ عما كان، وتومئ إلى ما يكون[٢].

أما التعبير بالاسم فله دلالته البيانية الخاصة، فقد جاءت بعض آيات الرغبة على الصفة الاسمية مثل راغب، وراغبون بصيغة اسم الفاعل، والتعبير بهذا النوع من المشتقات، الذي حقيقته هو الحال عند الإطلاق عما في المستقبل، فيدل على تصوير فعل الرغبة، وتجددها وكأنها رغبة بعد رغبة،[٣]، كذلك التعبير بالمصدر في قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ فيه إشارة الى المبالغة في الدعاء والرغبة والرجاء وطلب الرحمة من الله تعالى[٤].

والذي يبدو أن آيات الرغبة قد تساوت آياتها، بين السور المكية والمدنية، ففي السور المكية أربع آيات وفي السور المدنية اربع آيات ايضا، وهذا بحد ذاته نوع من الاعجاز القرآني، لوجود الدلالات والاشياء المعَبر عنها في كلا العهدين، ولا يقتصر لفظ الرغبة على عهد دون عهد، بالإضافة الى أن آيات الرغبة خلت من صيغة الفعل الماضي، وهذا يدل على أن معاني الرغبة في القرآن، تدل على الحال والاستقبال، مما يدل على التجدد والمبالغة في الرغبة، وهي في الوقت نفسه من الالفاظ التي تحمل المعاني المتضادة فتصف أُناسٍ يحبون أمراً، أو شيءً ما بالرغبة فيه، وتصف أُناس يكرهون أمراً أو شيءً ما بالرغبة عنه، مما يجعلها تكسب مزيجاً كبيراً من المعاني المعبرة عما يكون في النفس الانسانية وما يدور في داخلها من الشعور والأفكار اتجاه الأمور والقرارات التي يجب عليه اتخاذها.

ينظر روح المعاني: للآلوسي،١٤١/٩.

(٢) ينظر زهرة التفاسير: لأبي زهرة،١٢٥٠/٣، وبالتفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته: للدكتور فضل حسن عبَّاس،٤١٦/٣.
ينظر زهرة التفاسير: لابي زهرة،٢٥٩٩/٥، وتفسير حدائق الروح والريحان: لمحمد الأمين الهرري،٣٨٣/٢٨.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي،٣٩١/١٣، وفتح البيان: للقنوجي ،٢٧١/٨.

المطلب الثالث الألفاظ المقاربة:

إنّ تنوع التعبير في الخطاب القرآني هي صفة مميزة من صفات القرآن الكريم فكثيرا ما يعبر عن المعاني المحددة بألفاظ متنوعة، وطرق متعددة، مما يجعله ذا تأثير في المتلقي قل نظيره ، فهو يتنقّل بين الأساليب الإنشائية والخبرية في المعنى المراد لإبرازه واظهاره، ويسلك مسالك شتَّى؛ ليعطي الدلالة والتصوير، ويرسم اللوحة الوجدانية، من غير أن تشعر بفجوة بين أسلوب وأسلوب، أو تنافر بين كلمة وأخرى، ومن غير أن تشعر بتغيير يذكر ضمن الجوِّ العام للنص(١)، ومن هنا قد جاء التعبير بلفظ الرغبة عن معاني متعددة لها الفاظ أخرى أعطت المعنى نفسه، أو قريبة منه ليكتمل المشهد المصور، والجمال التعبيري الذي يرسخ في الذهن، فيزيد التفكر والتأمل بمصدرية القرآن الكريم وهذه الالفاظ على النحو الآتي:

١-المحبة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

المحبة في اللغة: مشتقة من الفعل حب والذي تدل حروفه، على اللزوم والثبات، فالحب والمحبة، اشتقتا من الفعل أحب، وأحبه إذا لزمه(٣).

المحبة في الاصطلاح: هي ميل القلب، بكيفية مترتّبة على تخيّل كمال فيه من لذّة أو منفعة أو مشاكلة تخيلا مستمرا، كمحبة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه والوالد لولده والصديق لصديقه(٤).

٢-الاشتهاء قال تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾(٥).

الاشتهاء في اللغة: شهى الشيء، وشهاه يشهاه شهوة، واشتهاه وتشهاه: أحبه ورغب فيه، وقوله عز وجل: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أي يرغبون فيه من الرجوع إلى الدنيا(٦).

---

(١) ينظردراسات في علوم القرآن: لمحمد بكر إسماعيل،ص٣٤٠.

(٢) سورة النور الآية:١٩.

(٣) ينظر مقاييس اللغة: لابن فارس،٢٦/٢.

(٤) ينظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للتهانوي،١٤٨١/٢.

(٥) سورة سبأ الآية:٥٤.

ينظر المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيدة:٤٠١/٤، ولسان العرب: لابن منظور ،٤٤٥/١٤.

الاشتهاء في الاصطلاح: هو مصدر الفعل اشتهى الرجل الشَّيءَ، إذا اشتدّت رغبتُه فيه وحرصُه عليه، وتمنَّته نفسُه، سواء أتحقّق ذلك أو لم يتحقق[١].

٣- الزهد: قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[٢].

الزهد في اللغة: من زهد يزهد، وهو خلاف الرغبة. تقول: زهد في الشيء وعن الشيء، يزهد زهدا وزهادة اذا رغبة عنه[٣].

الزهد في الاصطلاح: هو الإعراض عن الدنيا وبغْضها، فمن لم يحزن بفقد ما يحتاج إليه، ولم يبالٍ بوجود الزائد على الضرورة فهو زاهد، وقيل الزهد ترك الأسف على معدوم ونفي الفرح بمعلوم[٤].

٤-البغض: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[٥].

البغض في اللغة: فالبغض متكون من الباء والغين والضاد في أصل واحد، وهو يدل على خلاف الحب[٦] .البغض في الاصطلاح: هو عبارة عن نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحبّ[٧].

والذي يبدو مما سبق أن لفظ الرغبة قد حل محل الفاظ متنوعة ذات معاني ودلالات معينة، وهذا إن دل إنما يدل على أن التعبير القرآني له من الخواص التي ميزته عن سائر كلام البشر، فحين تتدبر لفظ الرغبة في المواطن التي وردت فيها، تجدها قد أعطت معني المحبة والاشتهاء، الا أن الرغبة تختلف عن المحبة من حيث انها لفظ يعطي معنى الطمع، والحرص، والانانية، وهذا ما لا تجده في المحبة التي تعني رؤية الكمال المتخيل في الشيء المحبوب وهو الذي يظهر من تعرفيهما؛ لذلك عبر القران عن الأشياء المحبوبة بالرغبة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن

معجم اللغة العربية المعاصرة: لأحمد مختار عبد الحميد عمر،١٢٤٤/٢.

سورة يوسف الاية: ٢٠.

(٣) ينظر الصحاح: للجوهري،٤٨١/٢.

(٤) وينظر التوقيف على مهمات التعاريف: للمناوي، ص١٧٨، والتعريفات الفقهية: لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ص١٠٩.

(٥) سورة آل عمران الاية:١١٨.

(٦) ينظر مقاييس اللغة: لابن فارس،٢٧٣/١.

(٧) ينظر المفردات في غريب القرآن: للراغب الاصفهاني،١٣٦.

تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾[1]، كذلك عندما ترجع الى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]، فإنك ترى بوضوح أن لفظ الرغبة يعطي معنى الزهد في ملة إبراهيم وتركها، ولا يزهد أحد في شيء ما، أو يتركه، لاسيما الدين الا ويكون قد دخل الى نفسه شيءٌ من الكره والبغض اتجاهه، وهذا واضح لمن قرأ القرآن الكريم، والسيرة النبوية، وهو ما نرها في الواقع الحي، فترى الكثير ممن ينتمي الى الإسلام اسما، أو ممن ينتسب الى الديانات الأخرى ممن ليس لهم من الانصاف شيء، تجدهم يزهدون في الإسلام ويكنون له الكره والبغض، والذي اريد أن أقوله: أن لفظ الرغبة كلمة جامعة لكثير من المعاني السابقة وزادت عليها نوع من التلطف مع المخاطبين بغض النظر ممن صدر الخطاب منه، وإذا وضعت الرغبة مكان تلك الالفاظ التي مرت سابقاً أعطت المعاني نفسها أفادت معاني التلطف في موضع الكره والزهد والترك.

(١) سورة النساء الاية: ١٢٧.

(٢) سورة البقرة الاية: ١٣٠.

المبحث الثاني
أنواع الرغبة في القرآن الكريم

المطلب الأول: الرغبة بنكاح اليتامى.

لاشك أن النكاح في الإسلام له مكانته، بل هو من مقاصده وضرورياته، لحفظ النسب وزيادة النوع الإنساني، والرغبة فيه طبيعة بشرية، وفي الوقت نفسه، تختلف الرغبات في نكاح أنواع النساء من حيث الجمال، والمال، والحسب، والدين وغيرها من الاوصاف التي تجذب الرجال نحوهن، والتي جمعها حديث النبي «صلى الله عليه وسلم» حين قال: »تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١)، فالحديث يشير الى الرغبة والدافع للارتباط بأي امرأة، وفي مقدمتهما المال والجمال فهما سبب من أسباب انجذاب الرجل اتجاه المرأة؛ ولكن المرأة إذا فقدتهما، وهي في الوقت نفسه يتيمة، واقعة تحت كنف رجل من خواصها، فكيف يتعامل معها؟ هذا ما سنعرفه من خلال هذا المطلب.

واذا امعنا النظر في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾(٢)، نرى بوضوح الكيفية الناجعة في معالجة هذا النوع من الرغبات المزاجية القائمة على الهوى والأنانية، التي كانت سائدة في المجتمع قبل الاسلام، وهذا الذي بينته السيدة عائشة «رضي الله عنها»، عندما سألها عروة ابن الزبير «رضي الله عنه» عن قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾(٣) فقالت: «يا ابن أختي، هي اليتيمة تكون في حجر وليها، تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها، بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق»(٤).

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الأكفاء في الدين، برقم:(٤٨٠٢)،١٩٥٨/٥.

(٢) سورة النساء الاية:١٢٧.

(٣) سورة النساء جزء من الاية:٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب: شركة اليتيم وأهل الميراث، برقم:(٢٣٦٢)،٨٨٣/٢.

غير أن الآية (وإن خفتم) لم تشف صدور المؤمنين من الصحابة في شأن اليتامى من النساء، فعن عائشة «رضي الله عنها» قالت: ثم إن الناس استفتوا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾الآية. قالت: والذي يتلى عليهم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾، قالت «عائشة رضي الله عنها»: في الآية الثانية قال الله تعالى:﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها[١]، والنهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة الجميلة الغنية بدون ما تستحقه من المهر، ومن عضل[٢] الدميمة الفقيرة أبدا، والدميمة الغنية حتى تموت فيرثها العاضل، ونحو هذا مما يقصد به الولي منفعة نفسه لا نفع اليتيمة[٣].

وقد ترجم هذه الآية عملياً، الخليفة الراشد عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» بحيث إذا جاءه ولي اليتيمة، فإن كانت حسنة غنية قال له عمر: زوجها غيرك، والتمس لها من هو خير منك، وإذا كانت بها دمامة ولا مال لها، قال: تزوجها فأنت أحق بها[٤]، وهذا الامر منه للولي لِما كان منتشرا قبل الاسلام أن ولي اليتيمة كان يتزوجها إذا كانت جميلة وهويها، فيأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت، فاذا ماتت ورثها، وهو مروي عن ابن عباس[٥].

إن المتأمل للفظ «ترغبون» يجد أن المعنى يحتمل الرغبة، وضدها من النفرة عن الشيء، فالمعنى في الرغبة: أي في أن تنكحوهن، والمعنى في النفرة: ترغبون عن أن تنكحوهن[٦]، وهنا نجد قوله تعالى: ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ مصدرا مؤول بمعنى نكاحهن قد دخل عليه حرف جر محذوف، وهو إما «فِي»، وإما «عن»، فعلى تقدير المحذوف «في» يكون المعنى: لَا تعطونهن ما كتب الله لهن من حقوق سواء أكان ميراثا أو صداقاً، وترغبون في نكاحهن لأنفسكم، وعلى تقدير المحذوف «عن» يكون المعنى: لَا تعطونهن ميراثهن، وتمنعونهن من النكاح، وترغبون عنهن لكي

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب الشركة باب: شركة اليتيم وأهل الميراث، برقم:(٢٣٦٢)،٨٨٣/٢، وأسباب النزول: للواحدي، ص١٨٤-١٨٥.

(٢) هو منع الولي الأيم من التزوج، ويأتي العضل بمعنى منع الزوج امرأته من حسن الصحبة لتفتدي منه، ينظر إكمال الأعلام بتثليث الكلام: لمحمد الطائي الجياني،٤٣٥/٢

(٣) ينظر المحرر الوجيز: لابن عطية، ١١٨/٢.

(٤) ينظر جامع البيان: للطبري برقم:(١٠٥٧٣).،٢٦٦/٩،

(٥) ينظر زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي،٤٧٩/١.

(٦) ينظر تفسير البحر المحيط: لابي حيان الاندلسي،٨٤/٤.

يبقى المال تحت أيديكم[١].

والسبب بعدم الرغبة في نكاح يتامى النساء هي قلة المال والجمال؛ لذلك كان الجزاء من جنس العمل، فكما أنكم ترغبون عن نكاحهن إن كن قليلات المال والجمال، فلا يحل لكم نكاحهن إن كن ذوات مال وجمال إلا بالإقساط إليهن في حقوقهن، كما تقدم عن عائشة «رضي الله عنها»[٢].

ولا شك أن حذف حرف الجر في هذه الآية له أثر عظيم من الإيجاز في الالفاظ والإكثار في المعاني، أي فترغبون عن نكاح بعضهن، وفي نكاح البعض آخر، فإن فعل رغب يتعدى بحرف «عن» للشيء الذي لا يحب، وبحرف «في» للشيء المحبوب. فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تناف[٣].

وبتالي أن الذين كانوا يتعاملون مع يتامى النساء فريقان، فريق يأكل المال، ولا يعطيها الصداق، ويرغب في نكاحها لجمالها، وفريق يستبد بمالها، ويرغب عن زواجها من نفسه أو من غيره حرصا على مالها، والآية تشمل الفريقين، وتندد بالطائفتين، وقد قال علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» لولي يتيمة: تزوجها إن كنت خيرا لها، فإن كان غيرك خيرا لها فألحقها بالخير[٤].

والذي يبدو مما سبق أن لفظ الرغبة في هذه الآية جاءت معبرة عن حالة اجتماعية كانت سائدة قبل الإسلام، قائمة على الجشع في جمع المال والتشهي بالعالِ من الجمال لليتامى اللآتي لا حول لهن ولا سند، وكأنهن سلعة بأيدهم، فمتى أرادوهن استعملوهن، ومتى رغبوا عنهن تركهن، فجاءت هذه الآية مبينة التعامل الامثل مع اليتامى، بعدم ظلمهن، والإحسان اليهن ان كن زوجات، وحفظ حقهن إن كان لهن ميراث، أو صداق، وهي في الوقت نفسه شاهد اضافي للمجتمع الجديد الذي عمه الإسلام، فهجر أفعال الجاهلية بكل اشكالها، وأفعالها، مما يدل على الثقافة العامة التي بدأت تسود بالمجتمع الجديد القائمة على الاحسان والعدل بكل مقوماته.

---

(١) ينظر زهرة التفاسير: لابي زهرة، ١٨٧٨/٤.

(٢) ينظر أضواء البيان: للشنقيطي، ٤٩٧/١.

(٣) ينظر التحرير والتنوير: لابن عاشور، ٢١٣/٥.

(٤) ينظر زهرة التفاسير: لابي زهرة، ١٨٧٨/٤.

المطلب الثاني: الرغبة باختيار الدين.

إنّ اختيار الانسان للأشياء الصائبة والصحيحة من الاخلاق، والأقوال، والاعمال، وتجنبه ما يخالفها، أنما تدل على رجاحة عقله، وتمييزه بين الحق والباطل، وعدم اتباعه الهوى وحظوظ النفس الباحثة عن المتعة الشخصية القائمة على مخالفة العقل، ودين الفطرة، فقد قال النبي «صلى الله عليه وسلم»:» ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[١]، يشير الحديث الى الفطرة السليمة والطبع المتهيئ لقَبول الدين عند المولد، فلو ترك عليها؛ لاستمر على لزومها ولم ينتقل عنها إلى غيرها، وذلك أن هذا الدين بائن حسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل؛ لآفة من آفات التنشئة، والتقليد، ولو سلم المولود من تلك الآفات لم يتركه ابدا، وهذا ظاهر بأولاد اليهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم، فيزلونهم بذلك عن الفطرة السليمة[٢]، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] ؛ أما من بلغ، ورجح عقله وازداد فهمه واحجم عن الحق والفطرة رغبة عنهما!، فقد وصفه الله سبحانه بالسفه وقلة الادراك، بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٤]، قال قتادة «رحمه الله»: «رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية، بدعة ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم -يعني الإسلام- حنيفا؛ كذلك بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بملة إبراهيم»[٥]،وهو مروي عن الربيع عن أبي العالية ايضاً[٦]، والى ذلك ذهب الطبري بقوله: «وأي الناس يزهد في ملة إبراهيم، ويتركها رغبة عنها إلى غيرها؟! وإنما عنى الله بذلك اليهود والنصارى، لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام؛ لأن «ملة إبراهيم» هي الحنيفية المسلمة»[٧].

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، برقم:(١٢٩٢).١/٤٥٦،

(٢) أعلام الحديث: لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي،١/٧١٦.

(٣) سورة الروم الاية:٣٠.

(٤) سورة البقرة الاية:١٣٠.

(٥) جامع البيان: للطبري، برقم:(٢٠٨٣)،٣/٨٩.

(٦) ينظر تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم، برقم:(١٢٧٠)،١/٢٣٨.

جامع البيان: للطبري،٣/٨٩.

والمتأمل في موقع هذه الآية من سوابقها يجدها قد جاءت كنتيجة لها، فإنه لما بين الله فضائل إبراهيم» عليه السلام» من قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[١] إلى هذه الآية، علم أن صاحب هذه الفضائل، لا يُعدل عن دينه والاقتداء به إلا سفيه العقل أفن الرأي[٢]؛ لانّ ما أجراه الله سبحانه وتعالى على يده من شرائف شرائعه التي ابتلاه بها، ومن بناء بيته وأمره بحج عباد الله إليه وما جبله الله تعالى عليه من الحرص على مصالح عباده ودعائه بالخير لهم، وغير ذلك من الأمور التي سبقت هذه الآية السالفة فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾والإيمان بما أتى من الشرائع الا سفه وخفة عقل[٣].

إنّ ذكر السفه هنا هو توبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب؛ لأن اليهود إنما يفتخرون بنسبهم الى إسرائيل بن إسحاق بن ابراهيم «عليهم السلام»، والنصارى افتخروا بعيسى «عليه السلام» وهو منتسب من جانب الأم لإسرائيل ومن ثَم إلى إبراهيم «عليهما السلام»، وأما قريش فإنهم إنما نالوا كل خير في الجاهلية بالبيت الذي بناه، وسائر العرب وهم العدنانيون فمرجعهم إلى إسماعيل وهم يفتخرون على القحطانيين بإسماعيل بن إبراهيم «عليهما السلام»[٤].

إنّ التعبير ب»من» الاستفهامية التي أفادت المعنى الإنكاري الذي يتضمن معنى نفي وقوعٍ، وتوبيخٍ، واستبعادٍ لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم، فَأُنكِر ووُبِخ «بمن» على من وقع منه هذا الامر[٥].

كذلك التعبير ب»يَرْغَبُ عن» انما يدل على التجاوز وترك الصواب إلى الأوهام، وضد يرغب عنها: يرغب فيها، فالرغبة فيها إقبال عليها، والرغبة عنها تجاوز عنها، وترك لها، وهذا يتضمن أمرين[٦]:

الاول: أنه علمها، وكان ينبغي أن يرغب فيها ولكنه تجاوزها وتركها لَا عن انصراف مجرد، بل عن قصد وإعراض.

---

(١) سورة البقرة جزء من الاية: ١٢٤.

(٢) ينظر التحرير والتنوير: لابن عاشور، ٧٢٤/١.

(٣) ينظر تفسير مفاتيح الغيب: للرازي، ٦١/٤.

(٤) ينظر تفسير مفاتيح الغيب: للرازي، ٦١/٤.

(٥) ينظر الكشاف: للزمخشري، ١٨٩/١، وزهرة التفاسير: لابي زهرة، ٤١١/١

(٦) ينظر زهرة التفاسير: لابي زهرة، ٤١١/١.

الثاني: أنه لم يتركه فحسب، بل اتجه ورغب في غيرها، والمعنى لَا يرغب عن ملة إبراهيم ويتركها متجاوزا لها إلى غيرها من الأوهام الباطلة إلا من سفه نفسه.

وتسفيه النفس: يعني امتهنها واحتقرها واستخفاف بها، أي فعل بها ما أدى إلى ذلك؛ وفي ذلك تعريض بمعاندي أهل الكتاب، فالسفاهة خفة الرأي في مقابلة ما يراد منه من الرجاحة و الاتزان، وفي نصب النفس إنباء بلحاق السفاهة بكلية ذي النفس؛ لأن من سفهت نفسُه اختص السفه بها، ومن سفه نفسَه «بالنصب» استغرقت السفاهة ذاته وكليته وكان بدء ذلك النفس، وذلك؛ لأن الله عز وجل جعل النفس مبدأ كل شر أبداه في الذات، فإنه تعالى يعطي الخير بواسطة وبغير واسطة، ولا يُحذى الشر إلا بواسطة، وهي النفس؛ ليكون في ذلك حجة الله على خلقه؛ وإنما استحق السفاهة من يرغب عن ملة إبراهيم، لظهورها في شاهدي العقل والحس اللذين هما أظهر حجج الله على خلقه فلا عذر لمن رغب عن ذلك[١].

والذي يبدو مما سبق أن مجرد الرغبة عن الحق أو الحياد عنه، هو نوع من الطيش والسفه وقلة الادراك في الأمور التي تهلك العبد في الاخرة وتوجب له العذاب، كذلك أنّ مجيء لفظ الرغبة ممزوجا بمعنى التوبيخ، موجهاً لأهل الكتاب، مناسب للمقام الذي هم فيه؛ لما يفخرون به على الناس بادعاء العلم، والافتخار بالأنبياء، وهذا بحد ذاته هو نوع من التنبيه لكل عاقل أن يلتزم الحق والصواب أياً كان مصدره، ولا يغتر بعلمه أو نسبه، فالتعبير بالرغبة التي محلها القلب عن الحق سفه وحمق!، فكيف إذا انتقل الى الباطل من العقائد والاقوال والأفعال! فعلى المسلم إن أراد النجاة، فعليه أن يتحكم في رغباته وأن يجعلها موافقة للشرع والعقل السليم.

المطلب الثالث: الرغبة بالتخلف عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

لاشك أنّ نصرة الرسول «صلى الله عليه وسلم» من عظائم الأمور وأجلها، بل هي القيمة الأخلاقية والدينية، والمعيار الحقيقي لمستوى الايمان عند الأشخاص، فبها يتم الحفاظ على ركائز الدين، فمن أدى هذا الامر على أكمل وجه نال الرضى من الله سبحانه، بل يزداد حتى يكون الله له ناصراً ومعيناً قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢] ، ونقيض النصرة التخلف والخذلان في المواطن التي يحتاجها اليها النبي «صلى الله عليه وسلم» من المساعدة والنصرة، وإذا كانت نصرة المسلم للمسلم واجبة وخذلانه محرمٌ لحديث النبي «صلى الله عليه وسلم» حين

(١) ينظر نظم الدرر: للبقاعي، ١٦٣/٢.

(٢) سورة الحج جزء من الاية: ٤٠.

حذر المسلمين من هذه الصفة الذميمة حين قال: «ما من امرئ يخذل مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»(١)، فالحديث يشير الى جزاء خذلان المسلم للمسلم حين يكون بحاجته، فكيف إذا كان التخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم»؟!؛ لذلك عُوتب أهل المدينة والاعراب الذين حولها على رغبتهم بأنفسهم عن نفسه حين تثاقلوا عن الخروج للغزوِ معه، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

يخبر الله تعالى في هذه الآية أنه ما كان لأهل المدينة، ومن حولهم من الأعراب، ممن سكن البوادي، الذين تخلفوا عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في غزوة تبوك، وهم من أهل الإيمان به، حين أثروا البقاء في أهاليهم، ورغبوا بأنفسهم عن نفسه في صحبته في سفره والجهاد معه، ومعاونته على ما يعانيه في غزوه ذاك(٣).

فالتعبير ب»ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه» اعطت الأمر بأن يصحبوه على البأساء، والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن تتلقى أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، وهي أعز نفس عند الله وأكرمها عليه، فإذا تعرضت للشدائد، وجب على سائر الأنفس أن تضحيَ لها، وتكون أخف شيء عليهم، فضلا عن أن يربئوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه، وهذا نهى بليغ، مع تقبيح لأمرهم، وتوبيخ لهم عليه، وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية(٤)، وقد فسرها كذلك بعض العلماء فقيل: ولا يرغبوا بأنفسهم عن الأمر الذي بذل له رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، قاله عطية العوفي، وقيل: أي ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه، قاله قطرب، وقيل: لا يرغبون بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد مثل ما

أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، من حديث أبي أيوب الانصاري، كتاب الفتن، باب فيمن قدر على نصر مظلوم أو إنكار منكر، برقم:(١٢١٣٨)، ٢٦٧/٧،)، وقال عنه اسناده حسن.

(٢) سورة التوبة الاية: ١٢٠.

(٣) ينظر جامع البيان: للطبري، ٥٦١/١٤.

(٤) ينظر الكشاف: للزمخشري، ٣٢١/٢.

يصيب رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، قاله الحسن(١).

إن مجيء الآية بهذه الصيغة كانت لمعاتبة المؤمنين من أهل المدينة وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوه، وقوة الكلام تعطي الأمر بصحبته اينما توجه غازيا وبذل النفوس دونه(٢)، وخص بهذه المعاتبة أهل المدينة؛ لأنهم مع رسول الله، وبين يديه، وبمحضر ومشهد منه، فكيف يسوغ لهم أن يروا النبي قائما على أمر يعالج أمراً عظيماً، ثم يقفون موقف المتفرج، لا يشاركونه فيما يعمل، ولا يحملون عنه بعض ما يحمل؟(٣) وأما تخصيص الاعراب بالعتاب ،فلقربهم وجوارهم، وأنهم أحق بذلك من غيرهم، أو لعلمهم بخروجه، وظاهر الآية وجوب النفير إذا خرج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى الغزو بنفسه وتحريم التخلف عنه(٤).

وقد اختلف العلماء فيها بين النسخ والاحكام فقال بعضهم أنه منسوخة، لأن الآية نزلت وفي أهل الإسلام قلة، فلما كثروا نسخها الله، وأباح التخلف لمن شاء، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾(٥)، وهو قول ابن زيد(٦).

وقال بعضهم أنها محكمة، وهي لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله، وهذا القول قد سمعه الوليد بن مسلم من الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، والفزاري، والسبيعي، وابن جابر، وسعيد بن عبد العزيز(٧).وهذا القول ينطبق على كل من جاء من بعده صلى الله عليه وسلم ورغب عن سنته والتأسي به، كالعلمانين الذين يقولون لا يجب اتباعه بعد موته، والمبتدعة الذين يؤثرون بدعهم وأهواءهم على سنته(٨).

وقال البعض الاخر أنها إنما كان ذلك لرسول الله ﷺ خاصة، لم يكن لأحد أن يتخلف خلافه إذا غزا فيقعد عنه، إلا من كان ذا عذر، وأما غيره من الأئمة والولاة، فلِمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه، إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة وهو مروي عن قتادة وقد

(١) ينظر التفسير البسيط: للواحدي،٨٩/١١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز: لابن عطية،٢٩٠/٣.

ينظر تفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم يونس الخطيب،٩١٤/٦.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي،٢٩٠/٨. وروح المعاني: للآلوسي،٤٣/٦، وفتح البيان: للقنوجي،٤٢١/٥.

سورة التوبة جزء من الاية:١٢٢.

(٦) ينظر جامع البيان: للطبري برقم:(١٧٤٦٤)،٥٦٣/١٤، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي،٢٩٢/٨.

(٧) ينظر جامع البيان: للطبري برقم:(١٧٤٦٣)،٥٦٢/١٤-٥٦٣.

(٨) ينظر تفسير القرآن الحكيم: لمحمد رشيد رضا،٦٠/١١.

رجحه القرطبي[١].

والذي يبدو مما سبق أنّ الآية محكمة سواء أكانت خاصة بحياة النبي «صلى الله عليه وسلم» أو بعد وفاته، وهو قول أكثر العلماء، لوجوب طاعته بالأفعال والاقوال في جميع الاحول وبحسب الطاقة البشرية والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[٢]،فجميع الرغبات يجب أن تخضع لأوامر لله ولأوامر رسوله «صلى الله عليه وسلم» في حياته بنصرته، ومعاونته، والسير معه الى كل مكان أراد أن ينهّض الناس معه، وبعد وفاته، نصرته بالدفاع عنه، والمتابعة، والمحبة واحياء السنة، ومناصرة من ينصره، فأوامر الدين لا تخضع للرغبات والاختيارات قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٣]، فعلى المسلم أن يوطن نفسه، وجسده، وكل ما يملك من الغالي والنفيس، لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: الرغبة بما قسمه الله تعالى.

إن الرغبة بما قسمه الله سبحانه وتعالى غاية ومنزلة عظيمة، يُوفق اليها من أراد الله له الخير والقناعة بما كُتِب له من الارزاق، وهذه الرغبة ممكنة الحصول إذا رضيَ العبد بما قدره الله سبحانه، وأطاعه فيما قسم، وقد وصف النبي «صلى الله عليه وسلم» الغنى الحقيقي ليس بكثرة المال وانما بالنفس القانعة بما وجدت، حيث قال «عليه السلام»: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[٤]، وقد جاء قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[٥]، التي ورد فيها جملة» انا الى الله راغبون» هي جواب لتصرف ذميم من المنافقين ذكرته الآية التي سبقتها وهي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[٦]، حين اعترض المنافقون على توزيع

---

(١) ينظر جامع البيان: للطبري برقم:(١٧٤٦٢)،٥٦٢/١٤، والمحرر الوجيز: لابن عطية،٩٥/٣، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ،٢٩٢/٨.

(٢) سورة محمد الاية:٣٣.

(٣) سورة الأحزاب الاية:٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة «رضي الله عنه» كتاب الرقاق، باب القناعة، برقم:(٦٠٨١)،٢٣٦٨/٥.

سورة التوبة الاية:٥٩.

(٦) سورة التوبة الاية:٥٨.

المال الذي لم يكن من نصيبهم، فقد ذكر أبو سعيد الخدري «رضي الله عنه»: بينما النبي «صلى الله عليه وسلم» يقسم، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويحك، ومن يعدل إذا لم أعدل»(١)، فتشير الرواية الى أن هذا الرجل عاب قسمة النبي ولم يرض بها، فأنزل الله هذه الآية فاخبرنا الله عزّ وجل أن هؤلاء الذين يلمزون النبي «صلى الله عليه وسلم»، في الصدقات، والغنائم، ولم يرضوا ما أعطاهم الله ورسوله من العطاء، أو بما قُسِم لهم من الاموال، فهي صفات تخرجه من دائرة الايمان، فيجب على المسلم الحذر منها(٢).

إنّ المتمعن لهذه الآية يجدها بيان لنوع من قبائح وفضائح المنافقين، وهو الطعن بعدل النبي «صلى الله عليه وسلم» بسبب أخذ الصدقات والغنائم، ويؤثر بها من يشاء من أقاربه وأهل مودته وينسبونه إلى أنه لا يراعي العدل كما يزعمون(٣)، ولو أن هؤلاء المنافقين رضوا بقسمة الله من الرزق، وما أعطاهم على يدي رسوله ورجوا فضل الله ورسوله، وأقروا بالرغبة إلى الله لكان خيرا لهم، وأفضل مما هم فيه، وحذف الجواب من الآية لدلالة ظاهر الكلام عليه، وذلك من فصيح الكلام و إيجازه(٤).

إن المشهد في الآية أعطى صورة عن ركاكة أخلاق أولئك المنافقين ودناءة طباعهم، وذلك؛ لشدة شرههم إلى أخذ بقايا الصدقات، ومن أجلها عابوا الرسول «صلى الله عليه وسلم» فنسبوه إلى الجور في القسمة، مع أنه كان أبعد خلق الله تعالى عن الميل إلى الدنيا، قال الضحاك: كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقسم بينهم ما آتاه الله من قليل المال وكثيره، وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه، وأما المنافقون: فإن أعطوا كثيرا فرحوا وإن أعطوا قليلا سخطوا، وذلك يدل على أن رضاهم وسخطهم لطلب النصيب، لا لأجل الدين(٥).

ولا شك أن نفوسهم الساخطة المشرأبة الى لعاعة الدنيا، أنطقت السنتهم باللمز والطعن برسول الله «صلى الله عليه وسلم»؛ ولو أنهم رضوا بما نالهم من الغنيمة، أو الصدقات وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم، وقالوا يكفينا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف، ولئلا ينفر الناس عنه برقم:(٦٥٣٤)، ٢٥٤٠/٦.

(٢) ينظر جامع البيان: للطبري، ٣٠٤/١٤.

(٣) ينظر مفاتيح الغيب: للرازي، ٧٥/١٦.

(٤) ينظر المحرر الوجيز: لابن عطية، ٧٤/٣.

(٥) ينظر مفاتيح الغيب: للرزي، ٧٦/١٦.

رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون، لكان خيرا من اللمز والطعن[١]، وجملة إنا إلى الله راغبون تعليل، أي لأننا راغبون فضله؛ لأنه هو المنعم المتفضل على الناس بالأرزاق، وتقديم المجرور لإفادة القصر، أي إلى الله راغبون لا إلى غيره، والكلام على حذف مضاف، تقديره: إنا راغبون إلى ما عينه الله لنا لا نطلب إعطاء ما ليس من حقنا، والرغبة الطلب بتأدب[٢].

إنّ هذه الآية على ما تضمنته من فضح للمنافقين، جاءت في الوقت نفسه ترسم لنا أدبا عظيما، هو اظهار الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده، وكذلك الرغبة إلى الله وحده، والتوفيق لطاعة رسوله، وامتثال أوامره، وعدم اظهار اللمز والطعن به[٣]، معبرة عن حال المؤمنين الصادقين وحاكية عن أقوالهم بقوله: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ وهذه غاية الضراعة التي يجب أن يصلوا اليها، بأن يرغبوا إلى الله تعالى وحده، ولا يرغبون فيما لَا يقتنونه، ولا عرضا من أعراض الدنيا، ولا غاية من غاياتها، وتقديم الجار والمجرور «إِلَى اللَّهِ» تعالى على «رَاغِبُونَ» يفيد الاختصاص، أي لَا يرغبون إلا إليه سبحانه وتعالى[٤].

بالإضافة للبيان التعليمي في كيفية التعامل مع الله ورسوله وقبوله بالرضا التام أظهرت الآية ما كان لله وما كان لرسوله، فجعل الإيتاء لله ولرسوله، وأما الحسب فقد جعله الله له وحده، فلم يقل: وقالوا حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه فقال: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾، كذلك في الرغبة الى الله وما عنده جُعلت له وحده كما قال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾، ولم يقل وإلى رسوله، بل جعل الرغبة إليه وحده، فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب، لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود، لله وحده، والرسول بمكانته وعظمته مأمور بالرغبة الى الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾[٥] والى ذلك فليتدبر المؤمنون[٦].

والذي يظهر من هذه المطلب أن الرغبة بما قسم الله تعالى من الارزاق خُلُق رفيع، وعبادة عظيمة، تظهر الرضا والتسليم بالنصيب الذي حصل عليه المسلم من حطام الدنيا الفانية، فهذه اللفظة

---

(١) ينظر الكشاف: للزمخشري، ٢/٢٨٢.

(٢) ينظر التحرير والتنوير: لابن عاشور، ١٠/٢٣٤.

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، ٤/١٦٤.

(٤) ينظر زهرة التفاسير: لابي زهرة، ٦/٣٣٤٢.

(٥) سورة الشرح الاية: ٨.

ينظر محاسن التأويل: للقاسمي، ٥/٣٢١.

توحي بربط العبد بخالقه وإظهار الافتقار اليه، فعلى المسلم أن يكون في جميع أحواله سواءٌ أكانت الدنيوية، أو الأخروية متعلق بالرغبة الى الله تعالى، فالرغبة تستوجب القناعة التامة بما يكون لك ولم يكن لغيرك، أو ما كان لغيرك ولم يكن لك، كما قال النبي «صلى الله عليه وسلم» لابن عباس «رضي الله عنه»: «واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيك، لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يصيبك به، لم يقدروا على ذلك»(١).

المطلب الخامس: الرغبة من وسائل الاجابة.

يخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن استجابته لدعاء سيدنا زكريا» عليه السلام» لما مسّه الضر؛ كونه لم يكن له ولداً، وأحب أن يكون له وارث يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته، فدعا الله تعالى دعاء مخلص عارف بأنه قادر على أجابته(٢)، فذكر الله سبحانه وتعالى دعوته بقوله: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾(٣)، فجاءت الإجابة مقرونة بعدة أمور، فقال تعالى:﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٤) .

فذكر الله في الآية الاستجابة التي مُنحت لنبي الله زكريا «عليه السلام»، بأن وهب له يحيى ولدا ووارثا يرثه، وأصلح له زوجه... أي هيئها لذلك، بأن جعلها ولودا حسنة الخلق(٥).

والذي يهمنا في هذا المقام أن الله تعالى ذكر جملة من الأمور كانت سبباً؛ لإجابة دعوة نبي الله زكريا «عليه السلام»، فمنها مبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الأمور التي يحبونها(٦)، فالمبادرة في الخيرات تعني أنهم يفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي أن تكون عليها تلك العبادة، ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا ابتدروا الفرصة فيها(٧).

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم:(٦٤٣٧) ،٦٠٧/٧، وقال محقق الكتاب الحديث قوي بمجموع طرقه.

(٢) ينظر تفسير مفاتيح الغيب: للرازي،١٨٢/٢٢

(٣) سورة الأنبياء الاية:٨٩.

(٤) سورة الأنبياء الاية:٩٠.

(٥) ينظر جامع البيان: للطبري،٥٢٠/١٨-٥٢١.

ينظر الكشاف: للزمخشري،١٣٣/٣، والتفسير الحديث: لدروزة محمد عزت،٢٨٤/٥.

ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي،٥٣٠.

إنّ الاغتنام، والمسارعة في الخيرات، تشبيه جميل لهم بالمتسابقين، وكأنّهم في سباق نحو هدفٍ قد وُضِع لهم، وجاءت التعدية بـ «فِي» للإشارة إلى أنهم يسارعون يسابق بعضهم بعضا في دائرة الخيرات لَا يخرجون عنها، فكأنّ الخيرات أحاطت بهم إحاطة الدائرة بمن فيها، فأينما وُجدت تلك الخيرات أقبلوا عليها متلهفين(١).

بالإضافة الى ما وصلوا اليه من المستوى العالي من المسارعة بالعبادة، ضموا اليهما أمرين أخرين، ما يكون أداء الطاعة على أكمل وجه وهما(٢):

الاول: الفزع إلى الله تعالى رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه. والثاني: الخشوع وهو المخافة الثابتة في القلب، في كل الأمور.

والذي يهمنا في هذا المقام أن المسارعة الى الله تعالى بالرغبة والرهبة التي يكتنفها الخشوع كانت سبباً لإجابة دعوة نبي الله زكريا «عليه السلام» ومن هنا لابد من تسليط الضوء على معنى «رغبا» التي ذكرت في سياق الآية التي نحن بصددها، وهي أحد أركان الإجابة، فلابد من الوقوف على تفسيرها؛ كي يتضح المعنى، ويسهل التطبيق الأمثل لها، وقد ذهب المسفرون في بيانها بتفسيرات متنوعة، متقاربة المعنى، فمنهم من قال: أن عبادتهم كانت برغبة منهم رجاءً لرحمته وفضله، وهو مروي عن ابن جريج(٣)، ومنهم قال: أنهم كانوا يدعون ربهم في وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء، كما يدعونه في تعبدهم رهبةً وخوفاً في حال واحدة؛ لأن الرغبة والرهبة متلازمان(٤).

ومنهم فسر الرغبة بالسعة فأعطت معناً الفسحة، أي أنهم يدعون ربهم في حال رخاءهم وسعتهم، والمعنى يدعونه سبحانه وتعالى في حال رخائهم، وحال شدتهم، فهم يدعونه في كل الأحوال، لا كأولئك المشركين الذين يدعون الله في الشدة، فإذا ذهبت إذا هم يشركون(٥).

ومنهم من فسرها: بأنهم يسألون الله تبارك وتعالى الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا

(١) ينظر تفسر زهرة التفاسير: لأبي زهرة،٤٩١١/٩.

(٢) ينظر مفاتيح الغيب: للرازي،١٨٣/٢٢.

ينظر جامع البيان: للطبري،٥٢١/١٨، وتفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم،٢٤٦٦/٨، برقم:(١٣٧١٨).

(٤) ينظر المحرر الوجيز: لابن عطية،٩٨/٤، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي،٣٣٦/١١.

(٥) ينظر تفسر زهرة التفاسير: لأبي زهرة،٤٩١١/٩.

غافلون، لاهون[١].

ومنهم من فسرها تفسيرا مادياً، فقال:»رغبا» تعني أن تُرفع بطون الأكف نحو السماء و»رهبا» أن تُرفع ظهورها ومعنى ذلك أن عادة كل داع من البشر أن يستعين بيديه، فالرغب من حيث هو طلب يحسن معه أن يوجه باطن الراحة نحو المطلوب منه إذ هي موضع الإعطاء وبها يتملك ويأخذ الاشياء[٢].

والذي يبدو مما سبق ان المعاني التي قيلت في «رغبا» متقاربة وكلها محتملة؛ لكونها تدور حول مرضاة الله تعالى بالخضوع والتضرع بسؤاله تذللاً له بأكف ممدودة الى السماء، في وقت السعة والرجاء، فالدعاء لا يسمع إن لم يكن من قلب راغب مقبل على الله تعالى، قال النبي «صلى الله عليه وسلم» :»ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[٣]، وبما أن الدعاء عبادة بحد ذاتها كما في حيث النبي» صلى الله عليه وسلم» الذي قال فيه: «إن الدعاء هو العبادة»[٤]، فلابد من دعاء الله تعالى وعبادته وقت السعة والرخاء لكي يكون للعبد وقت الشدة والحاجة، كما قال النبي «صلى الله عليه وسلم» :» تعرف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدة، وإذا سألت، فاسأل الله»[٥]، فهذه الآية ترسم المنهج الذي يجب أن يكون عليه المسلم في رغبته من عبادة الله، وأنها سبب من اسباب استجابة الدعاء، فإذا اقبل العبد بقلبه رغبة في مرضاته جدير أن يقبل الله منه عبادته، أو يُستجاب له دعائه.

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: للسعدي، ٥٣٠.

(٢) ينظر المحرر الوجيز: لابن عطية، ٩٨/٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، عن أبي هريرة «رضي الله عنه» أبواب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي عليه السلام، برقم:(٣٤٧٩) ،٥١٧/٥، ونقل محقق الكتاب حكم الالباني بأنه حسن.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، عن النعمان بن بشير، مسند الكوفيين برقم:(١٨٣٥٢)٢٨٩/٣٠، قال شعيب الارنؤوط: اسناده صحيح.

(٥) أخرجه أحمد في المسند، وهو جزء من حديث ابن عباس، مسند الخلفاء الراشدين برقم:(٢٨٠٣)، ،١٩/٥، قال شعيب الارنؤوط: حديث صحيح.

الخاتمة

فبعد أن تم الانتهاء من الكلام في البحث الموسوم» آيات الرغبة في القرآن الكريم دراسة موضوعية» فقد تمكنت من التوصل الى بعض النتائج التي يمكن إجمالها بعدة نقاط:

١-تنوعت صيغ الرغبة في القرآن الكريم بين الجملة الاسمية والفعلية مما يعطي مساحة واسعة من المعاني، كذلك خلت اللفظة من صيغة الفعل الماضي لتدل في غيره من الأفعال والاسماء على الحال والاستقبال، وهذا يدل على المعنى المتجدد.

٢-إن لفظ الرغبة من الالفاظ المتضادة بحسب تعديتها فالرغبة عن الشيء هو: الزهد فيه وإيثار النفس عليه، والرغبة في الشيء: إرادته على وجه الطمع، والرغبة إلى الشيء هو: الطمع فيه.

٣-إنّ لفظ الرغبة يشعرك بالتلطف مع المخاطبين بغض النظر ممن صدر منه الخطاب وأن جميع الالفاظ المقاربة لها لا يمكنها أداء المعنى التي اعطته الرغبة.

٤-إنّ لفظ الرغبة هو شعور نفسي يكشف من خلاله النوايا السيئة بالتعامل مع اليتامى.

٥- إن ظهور أي رغبة كان من نتائجها التخلي عن نصرة النبي «صلى الله عليه وسلم» ، أو الدين هو نوع من السفه والحمق والتخلف والتخاذل.

٦- إنّ الرغبة بما قسم الله تعالى من الارزاق عبادة عظيمة، تظهر الرضا والتسليم بالنصيب، كذلك الرغبة الى الله بالدعاء في كل الأحوال لاسيما في وقت الرخاء جديرٌ أن يقبل ولا يرد أثناء الشدة والحاجة.

٧- إنّ آيات الرغبة قد تساوت اعدادها بين السور المكية والمدنية ففي المكية أربع آيات، وفي المدنية كذلك وهذا بحد ذاته هو نوع من الاعجاز القرآني؛ لوجود الدلالات والاشياء المعبرة عنها في كلا العهدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٣. البحر المحيط في التفسير المؤلف: محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) بعناية: صدقي محمد جميل العطار، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٤. التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٥. التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٦. التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٧. ٧-التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] المؤلف: دروزة محمد عزت الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

٨. تفسير القرآن الحكيم، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٩. تفسير القرآن العظيم: المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر

التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١١. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

١٢. التفسير الوسيط، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٣. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: محمد الأمين بن الأرمي العلوي الهرري [ت ١٤٤١ هـ]إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١.

١٤. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، المؤلف: الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.

١٥. التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر.

١٨. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ) تعليق وتحقيق:

الدكتور ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٢٠. دراسات في علوم القرآن المؤلف: محمد بكر إسماعيل (ت ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢١. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، وإياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٢. الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، المؤلف: أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، الناشر: (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، شركة الرياض للنشر والتوزيع)، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٤. زاد المسير في علم التفسير: المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٢٥. زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

٢٦. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٢٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٨. صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٩. فتحُ البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ] ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣١. كمال الأعلام بتثليث الكلام، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت ٦٧٢هـ) المحقق: سعد بن حمدان الغامدي الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٣٢. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين.

٣٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٣٤. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٦. المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٧. المستدرك على الصحيحين: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) حقّقه وخرّجه وعلّق عليه: عادل مرشد ، مع أخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٣٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٤٠. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤١. ٤١-مفاتيح الغيب: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ ه.

٤٢. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٤٣. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

٤٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٥. النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.